

## **الباب الثانى**

**أجسام الإنسان والعلاقة بين الروح والنفس**



## الفصل الأول

### الولادة والموت

لقد تساءل الكثيرون من الفلاسفة والشعراء على مر عصور التاريخ الإنساني عن المكان الذى جاءوا منه ، وانتهى أغلبهم إلى مجيئهم من عالم مجهول وتوليهم بعد انتهاء حياتهم على الأرض إلى عالم مجهول أيضاً . وسبحان من أنزل هذا الكلام :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَعُونَ ﴾ [سورة الكهف].

ومما يظهر لنا مدى تعلق الإنسان بالحياة المتكررة وعشق روحه للخلود واللاموت ما ذهب إليه بعض المفكرين والفلاسفة فى البحث عن حيوات سابقة لهم على الأرض مثلما نادى به نظرية التناسخ، وعلى قدر خطأ هذه النظرية وعدم جدواها إلا أننا نوافق فقط على ما أكدته من عشق روح الإنسان للخلود ولكن بعد ذهاب الجسد والانتقال إلى الحياة الآخرة وليس بالطريقة التى تتكلم عنها النظرية من الولادة على الأرض من جديد.. فهذا هو الخطأ البحت، إذ كان أولى بهذا الإنسان وهو هنا على الأرض ولا يتذكر شيئاً عن حيواته السابقة المزعومة - أن يفكر فى حياته الحاضرة ويعمل ما أمره به خالقه عز وجل من عمل صالح ينفعه فى حياته المقبلة بعد موته وأن يعي أنه ما خلق إلا لعبادة العلى القدير وأنه فى هذا الإطار يمر باختبار أرضى يؤهله للارتقاء والسمو للتكيف مع حياته المقبلة.

وقد يعيننا بالدرجة الأولى هنا هذا البحث عن الإنسان ذاته فهو مركب باعتباره مخلوق على الأقل من جسم ونفس وروح.. وحتى عهد قريب لم يك جسم الإنسان شيئاً مدروساً بالتفصيل الذى هو عليه الآن - بل كان البعض يحرم تشريحه أو التعرف على تفاصيل تكوينه وتركيباته الداخلية.. ولكن مع التقدم العلمى المضطرد ودراسة جسم الإنسان أكثر وأكثر وجد العلماء أنفسهم أمام أعاجيب معجزة أقربها هؤلاء العلماء معترفين بأنهم أمام جهاز فى غاية الدقة والرقّة لا يمكن لعملاء العالم ومخترعيه ولو اجتمعوا معا أن يقلدوه أو ينشئوا مثله.. فإن عملية خلق الإنسان من طين أعجوبة، وفى كل خطوة منها سوف نتوقف ونتأمل فى وجود قوى مذهلة حيوية موجهة من قوة أكثر قوة وذكاء يحركها شيء غامض حكيم لا نخطئ إذا ما قلنا إنه الروح..

وقد نتصور ذلك جلياً إذا ما علمنا أن خلق الإنسان مادياً يبدأ من بويضة ملقحة إثر اجتماع حيوان منوى من الأب مع بويضة من الأم، وأن هذه البويضة الملقحة التي لا تكاد ترى تحتوى على ميكرو فيلم لذلك الإنسان، بمعنى أنها تحتوى على ٣٠٠٠٠ وحدة وراثية (جينات) تحدد أوصاف هذا المخلوق الجديد بناء على تسلسله من آباءه وأجداده السابقين- ويشارك فى هذه الوحدات كل من الأبوين بالتساوي... ومن الملف للنظر والتأمل هنا أنهما يصنعان شيئاً وهما لا يعرفان أنهما قاما بتلك التجربة العلمية الخطيرة، وكأن قوة أخرى بالطبع هى التى رتبت لهما ذلك، قوة أعظم وأقدر هى التى رتبت لهما ذلك.. ثم تنقسم هذه البويضة الملحقة إلى خليتين والخليتان إلى أربع والأربع إلى ثمان.. وهكذا حتى بعد ٤٥ انقساماً يصبح عدد الخلايا ٢٥ مليار خلية، أنها بالتأكيد القوة الأعظم غير المنظورة التى أحدثت هذا التسلسل المريع..

وتتوالى الإعجازات، ها هى ذى الخلايا تصيح متنوعة فى وظائفها، البعض يذهب ليكون العظام والبعض الآخر للعضلات وتلك للعيون والدم.. وهكذا.. أليس وراء ذلك خلاق عظيم غير مرئى قدير على صنعها هذا التصنيع!؟

بلى وهو الخلاق العظيم سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون..

والأعجب أيضاً أن كل خلية منها تبدأ فى عملها المخصص لها كأنها تعرفه من قبل وبدون عمل أى خطأ.. إنها تنتقل إلى مكانها المخصص لها كأنها ملهمة، والخالق والندبر لهذا الجسم يختار أهم وأفضل ١٠ بلايين خلية ليرسمها فى قشرة المخ ليووظفها فى إدارة هذا الجسم.

لقد كان خلق الجنين عملية تجسيد من الطبيعة الأثرية إلى الطبيعة المادية أى إلى هيئة كيس من اللحم والعظام مر بمراحل عديدة فى خلال فترة الحمل، نطفة فعلقة.. الخ حتى إذا ما رأى نور الأرض سميناه طفلاً، ولا تنتهى قصة حياة الإنسان بالموت فالله عز وجل وصف حياة الإنسان الأبدية بحياة ثانية خالدة غير منظورة لنا الآن ذكرها جل وعلا فى قصة خلق الإنسان قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِنَ السَّوْنِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكَ بِرَبِّكَ لَمِنَ السَّوْنِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون].

حقًا لقد كان هناك ولادتان على الأقل الأولى فى الأرض والثانية فى عالم البرزخ، وكان الوالدان فى أولهما الوسيطين أو الجهاز الذى أتى بالمولود إلى الأرض. ومن الملفت للنظر والجدير بالذكر فى هذا الخصوص ما أكده العلماء من أن دخول الحيوان المنوى فى البويضة يسبب انفجارًا هائلًا طاقة خلاقة من دلالاته أن معدل النمو فى الرحم أكبر بكثير من معدله بعد الولادة- فلو استمر فى الخارج معدل النمو هذا بعد الولادة كما كان الأمر فى داخل الرحم لأصبح الإنسان أضخم كثيرًا من الغيل.. ففى الرحم يزداد طول الجنين فيصبح بعد أربعة شهور قدر طوله بعد الشهر الأول بمقدار ١٢ مرة، فى حين بعد الولادة يصبح الإنسان بعد عشرين سنة طوله عند الولادة ٥ مرات فقط. وعلى كل فبعد الوفاة تكون الروح أكثر حرية وفاعلية فتستطيع أن تظهر بحجم أكبر لو أرادت وتتطور بسرعة كبيرة وينسب لا تقارن بها نسب النمو الفيزيقى التى سبق ذكرها فى حالة الجنين سواء كان هذا النمو فى جسدها الأثيرى أم العلقى.. الخ.

إن قوانين الديناميكا الحرارية تؤكد على أن كل شيء فى الكون يميل إلى التهدم والقوضى، وهذا يعنى أن كل عملية تحتاج إلى نظام أو ترتيب عاقل هى عملية غير عادية ومن ورائها قوة خلاقة عظيمة قادرة.

نعم إن الحياة قائمة على عقل الخالق العليم الحكيم العظيم.. أى إنها لم تنشأ من فراغ أو بمجرد الصدفة - وفى ذلك يقول عالم الوراثة الشهير وادنجتن إن الحياة لا تخلق نفسها إلا إذا أخذت تقذف بعدة أحجار بناء كيفما كان لتكون منها كومة ثم نأمل بعدئذ أنها من نفسها سوف تبنى لك منزلًا.

إن لكل خلق خطة وظروفًا وضعها ورتبها وهيا لها مناخها واكتمالها الخالق البارئ المصور البديع فعلى سبيل المثال وكما هو معروف نجح فريق من العلماء فى جامعة بولونيا بإيطاليا فى الستينيات فى جمع البويضة مع الحيوان المنوى فى أنبوبة اختبار أمدها بالأوكسجين فوجدوا أن الاتحاد يتم كالمعتاد بين أحد الحيوانات المنوية وتلك البويضة وبدأت عملية النمو كما لو كانت فى رحم امرأة وأخذت الصور لذلك التطور خطوة بخطوة. وكانت النتيجة غير متشجعة فبعد مرور ٣٩ يومًا لوحظ أن المخلوق النامى سيتخذ شكلًا وحشيًا... والذى يجرى ترتيبًا على ذلك اليوم هو أن تنقل البويضة الملحقة إلى رحم أى أم لتكتمل نموها وتصبح جنينًا عاديًا يولد من الرحم. أى إن الجنين لا يستطيع إكمال حياته بعيدًا عن أم تحمله وتعطيه من روحها مثلما تعطيه من جسمها.. ففى لحظة الحمل

الفيزيقي للبويزة تبدأ الروح البسيطة فيها وكذلك الجسم النجمي وبعدئذ يسير الثلاثة سوياً في النمو بتأثير قوة الروح الخلاقة بإذن ومشئئة الله تعالى.

ويقول الأستاذ الدكتور/ على راضى عالم الفيزياء ورئيس جمعية الأهرام الروحية سابقاً وعضو جمعية البحوث الروحية العالمية بلندن رحمه الله فى كتابه اعرف روحك:

(.. وحقاً لو جننا بقرد ووضعنا أمامه بضع قطع إلكترونية تصلح لبناء جهاز تليفزيون مثلاً وتركاناه ألف عام ليجرب بنفسه بناء ذلك الجهاز لوجدناه يعجز ولن يصل إلى شئ بل ربما يكون قد حطم معظم تلك القطع أو كلها.. ولقد خلق الله هذا القرد قبل البشر بملايين السنين فلم تر له تقدماً فى أى مجال، ولو لكساء نفسه على الأقل. لم يتطور لكى ينطق بحرف مثلاً. من هنا نرى معجزة الله فى خلق الإنسان فى الأشهر القليلة التى يتكون فيها الطفل فى بطن أمه يكون قد سبق خلق كثير من الحيوان التى خلقت أو قيل إنها تطورت بعد ملايين السنين.. إنه لو كان قد بدأ خارج الرحم وتطور من خلية واحدة - على حسب ما يتصورون - لاحتاج إلى ٣ بلايين سنة.. والنتيجة النهائية هى أن الحياة لا تنشئ نفسها فهى كالنار لا تقوم إلا بشعلة والشعلة جاءت من قبل من شعلة أخرى وهكذا حتى تصل فى النهاية إلى مصدرها وخالقها العظيم الله تعالى..).

ولو تذكرنا أن هناك شبيها كبيرا فى شكل الإنسان حين يولد فى هذه الأرض وحين يولد فى العالم الآخر فهو فى كلتا الحالتين يأتى ورأسه فى المقدمة وقدماه فى المؤخرة.. ولو تذكرنا أن هناك شبيها عجيبا أيضاً بين الموت والولادة، إذ إن كلا منهما فى الحقيقة ولادة فى عالم مختلف، فكما كان الجسم الأرضى حين ولادته مربوطاً مع الأم بالحبل السرى، كذلك الجسم الروحى حين ولادته فى العالم النجمى - موته - يكون مربوطاً مع الأم، أى الجسم الفيزيقي بالحبل القضى. وفى كلا الحالتين لا تتم الولادة إلا بقطع الحبل الموصل.

ويقول الدكتور على راضى رحمه الله - المرجع السابق - أيضاً فى هذا الخصوص:

(... وكما يخرج الطفل من المشيمة نجد الميت يخرج أيضاً بهالة تشبه المشيمة. وهناك شبه قوى بين الصورتين - أى الصور التى التقطها علماء علم الروح الحديث فى هذا الخصوص - وتقول الوسيطة المعروفة برتاهاريس: إن الهالة عند ولادة الطفل تكون أولاً هالة فيزيقية ضعيفة ثم بعدها تتكون هالتان الهالة العقلية ثم الهالة الروحية،

أما عند الموت فينعكس الحال أى تبدأ الهالات فى التراجع ثم الاضمحلال وهناك عملية انعكاس أخرى يعرفها علماء الأعصاب ، فقد قالوا إن الوعى ينتقل عن الجسم الفيزيئى ، آخر ما ينتقل عن طريق البطين الرابع للمخ وهذا البطين هو جزء من جسم معقد كان هو أول تركيبه جسمية أى فيزيئية تظهر فى الجنين ، ومعنى هذا أن الروح عند الموت تتراجع بعكس الطريقة التى جاءت بها عند الولادة فى الأرض..).

ولو تذكرنا أن الإنسان تبدأ حياته فى بطن أمه من بويضة ضعيفة راحت تنقسم وتنقسم بسرعة ويتضاعف عدد خلاياها وتنظم وتتوسع - كما تقدم ذكره - ويولد بها الطفل ويشب ويقوى ويصبح فى عنفوان كيانه وبعدئذ يشيخ فتبدأ هذه الخلايا فى الضعف - فى الانقسام. فى التبديد.. وتبدأ معها الهزيمة.. هزيمة الجسد المادى وضعفه وعودته إلى نفس الموقف الذى بدأ به وهو بويضة فكما بدأ من صفر مادى سوف ينتهى إلى صفر مادى لم يبق منه سوى الروح وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥١﴾ [سورة الروم].

لتبين لنا جلياً أنه على رغم أن هذه الآية الكريمة ينصب إعجازها على الجانب المادى للإنسان إلا إنها انتهت بذات الإعجاز فى قوله تعالى يخلق ما يشاء.. أى أن بعد هذا كله الله جل وعلا قادر على أن يخلق الإنسان فيما يشاء من الصور أو من الهيئات بعد انتهاء دور جسده الترابى الذى تعرض للضعف والقوة - وإشارة بالغة معجزة إلى أن الموت ما هو إلا انتقال من حياة إلى حياة أخرى..

ولتبين لنا أيضاً فكرة انتهاء الدورة والرجوع إلى الأصل وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ [سورة الأنبياء].